

سلسلة الرسائل (٥٣)

مكة حرسها الله تعالى/ ١٤٤٥هـ



المودة بين الزوجين

للشيخة أمّ عبد الله بنت الشيخ
مقبل بن هادي الوادعي
حفظها الله تعالى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



alwadei967.blogspot.com



[telegram.me/alwad3ya](https://t.me/alwad3ya)



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله ونبيه محمد
الأمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله.

أما بعد:

إن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** امتنَّ على عباده بنعمة الزواج بين الذكر والأنثى،
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا
﴿١﴾ [النساء: ١].

ويقول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في كتابه الكريم: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَلَيْسَ الْبَاطِلِ
يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ [النحل: ٧٢].

وقوله تَعَالَى: ﴿مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: من جنسكم؛ فإن الجنسين المختلفين لا يألف أحدهما إلى الآخر. و كما يقولون: الجنسية علة الضم^(١).

أي: إن كلَّ جنس يألف إلى جنسه ويميل إلى جنسه، فالإنسي يميل إلى الإنسانية، والجنني إلى الجنية، والحيوانات كل من جنسها،.. وهكذا. فابن آدم يتزوج من جنسه من بنات آدم.

ولا تزواج عند جمهور أهل العلم بين جني وإنسية ولا إنسية وجني، هذا النكاح لا يجوز، مع أنه في المسألة خلاف^(٢).

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسير سورة الكهف (٤ / ٤٢٤): الناس يقولون: الْجَنَسِيَّةُ عِلَّةُ الضَّمِّ.

وقال ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (١ / ٢٢٥): كل امرئ يصبو إلى ما يناسبه، ويميل إلى ما يشاكله، والجنسية علة الضم قدرًا وشرعًا، والمشكلة سبب الميل عقلاً وطبعًا.

(٢) وليس الكلام على وجود تناكح الجن والإنس بينهم، ولكن الكلام على الجواز، أما الواقع فهذا قد يقع. قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ فِي «مجموع الفتاوى» (٣٩ / ١٩): وَقَدْ يَتَنَاقَحُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ وَيُولَدُ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ، وَهَذَا كَثِيرٌ مَّعْرُوفٌ، وَقَدْ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ ذَلِكَ وَتَكَلَّمُوا عَلَيْهِ، وَكَرِهَ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ مُنَاكَحَةَ الْجِنِّ. اهـ.

وقد كان ابن عربي الملقب يقول عن الزواج بالجنية: هذا محال؛ لأن الإنسان جسم كثيف والجن روح لطيف، ولن يعلق الجسم الكثيف الروح اللطيف.

ثم بعد قليل رآه بعضهم وبه شجة، فقال: تزوجت جنية فرزقت منها ثلاثة أولاد، فاتفق يوماً أني أغضبته، فضربني بعظم حصلت منه هذه الشجة، وانصرفت، فلم أرها بعد، هذا أو معناه.

ثم قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾.

وهذا امتنان من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى آخر على عباده أن جعل هذا الزواج ^(٣)

سبباً للتناسل، فبالزواج يحصل الأولاد، وهذا من نعم الزواج، ومن حكم

الزواج وجود الأولاد، وجود التناسل، وكما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «تَنَاجُحُوا،

تَكْثُرُوا، فَإِنِّي أَبَاهِي بِكُمْ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٤).

ولولا الزواج والتناسل لانتهدت الأمة ونفدت.

وجعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الزوجين كلاً منهما سكناً للآخر.

«مِيزَانُ الْإِعْتِدَالِ» (٣/٦٥٩).

ورحم الله والدي وغفر له كان يذكر لنا هذا عن ابن عربي.

(٣) تَزَاوَجَ الْقَوْمُ، وَازْدَوَجُوا: تَزَوَّجَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. كما في «تاج العروس» (٦/٢٤).

(٤) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٦/١٧٣) عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَنَاجُحُوا،

تَكْثُرُوا، فَإِنِّي أَبَاهِي بِكُمْ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» الحديث. وهذا مرسل؛ ولهذا ذكره الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع»

(٢٤٨٤).

روى أبو داود (٢٠٥٠) عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ

حَسَبٍ وَجَمَالٍ، وَإِنِّي لَا تَلِدُ، أَفَاتَزَوَّجُهَا، قَالَ: «لَا» ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَنَهَا، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: «تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ

فَإِنِّي مُكَاثِّرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ».

فالأزواج سكن للزوجة، والأزوجة سكن للزوجها، قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

أي: يألفها ويميل إليها.

الأزواج ستر للزوجة وهي كذلك ستر له، قال **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ هُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

فهو ستر لها في العفة، والحماية، وعن النظر إلى الرجال والتطلع، عن الفواحش، عن الحاجة، وهي كذلك ستر له.

قال الشيخ ابن عثيمين في «فتاوى نور على الدرب»: **بين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن المرأة لباس للزوجها وأن زوجها لباس لها؛ لأن كل واحد منهما يحصل به تحصين فرج صاحبه وحمايته وحفظه. اهـ.

وفيه دليل أنه لا غنى لأحد من الزوجين عن الآخر، لأنها ستر للآخر، فهو دليل على حاجة الزوج إلى زوجته، وحاجتها إليه.

ولهذا الذي لا يتزوج تتحطم حياته مبكرًا قبل الذي له زوجة، وقبل التي لها زوج.

وقال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَكَرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

وهذا أيضًا يفيد: أن الزوجة سكنٌ لزوجها، والزوج سكن لزوجته. وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ امتنان أيضًا من الله عز وجل على الزوجين.

ولا تقوم الحياة الزوجية السعيدة إلا على المودة والرحمة والتحابب. والمحبة بين الزوجين الله سبحانه وتعالى هو الذي يلقياها، قد تكون هذه المرأة ما هي من الأقارب، بل ربما تكون من أرض بعيدة جدًا لا معرفة له بها من قبل، ويلقي الله سبحانه وتعالى الائتلاف بين هذين الزوجين والأنس والمودة والرحمة، فسبحان الله أحكم الحاكمين! ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ

أَنْفَقَتْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ [الأنفال: ٦٣].

حتى إن الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى يقول في تفسيره «(٣/ ٤٧٤): فلا ألفة بين رُوحين أعظم مما بين الزوجين؛ ولهذا ذكر تعالى أن السَّاحِرَ رُبَّمَا تَوَصَّلَ بِكَيْدِهِ إِلَى التَّفْرِقَةِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ.

يعني: لا يَألف الرجل ولا تألف المرأة إلى أحد، حتى إلى الأبوين اللذين رَبَّيَا وتعبا، واللذين أنفقا وأحسنّا، فلا يَأنس قلبه ولا يَأنس قلبها إلى أحد كما يحصل بين الزوجين!

وقال السعدي رحمه الله في تفسير سورة الروم رقم الآية (٢١): فلا تجد بين أحد في الغالب مثل ما بين الزوجين من المودة والرحمة. اهـ.

هذا آية من آيات الله؛ ولهذا ربنا يقول عقب الألفه والمودة بين الزوجين: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

فقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّبِعُكَ﴾ أي- كما في «فتح القدير» (٢٥٣/٤) للشوكاني: -عَظِيمَةُ الشَّانِ بَدِيعَةُ الْبَيَانِ، وَاضِحَةُ الدَّلَالَةِ عَلَى قُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ عَلَى الْبَعْثِ، وَالنُّشُورِ.

﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١) ﴿لَا يَتَّبِعُهُمُ الْذِينَ يَتَّقِدِرُونَ عَلَى الْإِسْتِدْلَالِ؛ لِكُونَ التَّفَكُّرِ مَادَّةً لَهُ يَتَحَصَّلُ عَنْهُ، وَأَمَّا الْغَافِلُونَ عَنِ التَّفَكُّرِ فَمَا هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ.

حتى إن الزوجة يقال لها: أهل. جاء هذا في أدلة كثيرة، منها قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في حديث الإفك: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي» (٥).

قال الشنقيطي في «أضواء البيان» (٢٣٨/٦): مِنْ أَسَالِيبِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ أَنَّ زَوْجَةَ الرَّجُلِ يُطْلَقُ عَلَيْهَا اسْمُ الْأَهْلِ.

(٥) رواه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ثم واصل في كلامه وأفاد فائدة، وقال: **وَبِاعْتِبَارِ لَفْظِ الْأَهْلِ تُخَاطَبُ مُخَاطَبَةُ الْجَمْعِ الْمَذْكَرِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي مُوسَى: ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿سَاءَتِكُمْ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ﴾، وَالْمُخَاطَبُ امْرَأَتُهُ كَمَا قَالَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ. اهـ.**

والزوجة من أهل البيت، قال تعالى: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾** [الأحزاب: ٣٣].

قال الشيخ ابن عثيمين في «شرح بلوغ المرام» (١/٣٣٧): **أهل البيت يدخل فيهم الأزواج بلا شك، بل إن الإنسان يأوي إلى أهله-أي: زوجته-أكثر مما يأوي إلى أبيه وأمه كما هو مشاهد. اهـ.**

وهذا عند المفسرين من أهل العلم إضافة إسكان، **وَلَيْسَ إِضَافَةٌ تَمْلِكُ.**

إن التحابب بين الزوجين رزق من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

روى الإمام مسلم (٢٤٣٥) **عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: مَا غَرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ**

صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ، فَيَقُولُ: «أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ» قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي قَدْ رَزَقْتُ حُبَّهَا».

وهذا من الوفاء بين الزوجين، إذا سبقت المرأة بالوفاة- وكلنا ميت- لا ينسى زوجته الميتة، لا ينساها من الوفاء ومن الإحسان، وهي كذلك، إذا قَدَّرَ اللّٰهُ ورحل، نحن في دار الرحيل، فإذا رحل الزوج قبل امرأته لا تنساه، وكأن لم يكن شيء من الحياة الطيبة والمودة بينهما.

فما أجمل الوفاء بين الزوجين!

وخاصة الوفاء بين الزوجين بعد رحيل أحدهما.

إن الزوج والزوجة بحاجة إلى معرفة هذه الحقوق، وهذه المحاسن، وانظروا كيف كان النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يذبح الشاة ثم يرسلها إلى أصدقاء خديجة؟ فتذكر عائشة- تحملها الغيرة على ذلك-، فيقول النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي قَدْ رَزَقْتُ حُبَّهَا».

أي: رزقني الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حُبَّهَا.

إذا المحبة بين الزوجين رزق من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

ومن أوصاف نساء أهل الجنة أنهن كما قال تعالى: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا

﴿٣٧﴾ [الواقعة].

معنى ﴿عُرُبًا﴾ أي: متودّات متحبّيات إلى أزواجهن، وقد ذكره الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سياق الثناء على نساء الجنة.

فهذه صفة جميلة جلييلة في المرأة.

وكم يحصل من العناء بين الزوجين إذا لم يُلقِ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** المودة

والرحمة بين الزوجين!

فهذا رزق من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، لا أحد يستطيع أن يأتي بالمودة بين

الزوجين أبدًا.

كانوا-ولا زال-يستخدمون الأسحار عيادًا بالله-نعوذ بالله من

السحرة والكفرة والشرك والمشرّكين-، وكانوا في الجاهلية أكثر وأكثر،

يقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتَّوَلَةَ شِرْكَ» (٦).

(٦) رواه أبو داود (٣٨٨٣) عن عبد الله بن مسعود، وهو في «الصحيح المسند» (٨٣٠) لوالدي **رَحِمَهُمُ اللَّهُ**.

التّولة: نوع من السحر يحب الزوجة إلى زوجها، ويجب الزوج إلى زوجته.

والحمد لله بالعلم النافع تبصّر الناس، وعلموا أن هذا كفر بالله عزّ وجلّ،
فالله سبحانه وتعالى هو الذي يلقي المحبة ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]. الله الذي يلقي المحبة، وهو الذي يلقي الكره والبغضاء، كل هذا بيد الله سبحانه وتعالى.

وأذكر امرأة في زمن والدي الشيخ مقبل رحمه الله كانت تختلف مع زوجها بسبب أنه سألها أنت تحبيني أكثر أم تحبين أهلك؟

فهو يقول لها: من تحبين أكثر، الزوج أو أهلك؟

فذكرت له ما في قلبها أنها تحب أهلها أكثر من زوجها، فتحصل مشادة منه، بعض الرجال فوضويون، كيف يسألها ويقارن نفسه بينها وبين أهلها؟! فتحصل مشادة وخلافات، فبعدين قدمت شكواها لوالدي رحمه الله تعالى، وقال: ليس له حق أن يلزمها؛ المحبة بيد الله سبحانه وتعالى.

أيضاً- حفظكن الله- مما ذكر لنا والدي الشيخ مقبل رحمة الله تعالى وغفر له، ذكر لنا قصة تتعلق بجلب المحبة بالأسحار، أن امرأة سحرت زوجها؛ من أجل أن يحبها، لكن سبحان الله انقلبت القضية وصار يشك فيها، الشك مرض، تريد أن تجلب المودة فجلبت على نفسها الشكوك وإساءة الظن بها والخصام، فذكر لنا والدي عن هذا الرجل أنه كان إذا أراد أن يخرج وضع لصقة على فرجها؛ من الخوف عليها.

إنه لأهمية المودة بين الزوجين حثَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على الزواج بصاحبة هذه الصفة، فقال: «تَزَوَّجُوا الْوُدَّ الْوُدَّ فَإِنِّي مُكَاثِّرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ» رواه أبو داود (٢٠٥٠) عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ.

«الْوُدَّ» التي تحب زوجها، تود زوجها كثيراً.

«الْوُدَّ» كثيرة الولادة، يعني: هاتان الصفتان مهمتان في المرأة.

ولن تتم نعمة الحياة الزوجية إلا بالمودة والرحمة، ولن تكون الحياة الزوجية سعيدة إلا بالمودة، ولن تكون ناجحة إلا بالمودة، ولن تكون العلاقة بين الزوجين قوية إلا بالمحبة.

فعلمنا مما تقدم وما يأتي:

أن المودة بين الزوجين:

من أعظم النعم، والشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يقول: أرى أن من نعمة الله على الزوج أن تكون المرأة تحبه ^(٧).

وأنها رزق من الله تَعَالَى، لا أحد يملكها.

المودة بين الزوجين رابطة قوية في بناء الأسر.

بالمودة بين الزوجين تسعد البيوت، ويهنأ العيش.

وهناك بعض الأسباب تجلب المودة بين الزوجين.

من هذه الأسباب:

الاحترام، المرأة تحترم الزوج، والزوج يحترمها، تبادل الاحترام والتوقير، وخاصة أمام الأولاد والأهل، هذا مما يجلب المودة بين الزوجين.

(٧) « سلسلة اللقاء الشهري » رقم اللقاء (٣١).

أم الدرداء التابعة رَحِمَهَا اللهُ تَعَالَى تروي حديثًا عن زوجها أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وتقول: حَدَّثَنِي سَيِّدِي، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ دَعَا لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، قَالَ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ» رواه مسلم (٢٧٣٢).

فماذا تقول أم الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهَا؟

تقول: حَدَّثَنِي سَيِّدِي.

فلا مانع إذا عندك تدليع لزوجك أن تقولي: (سيدي فلان)، فهذا يدل على توقير، والمرأة في الأصل أسيرة عند الزوج كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ» (٨).

(٨) عن عمرو بن الأحوص الجشمي أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ، فذكر في الحديث قصة فقال: «أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ، إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا، أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ: فَلَا يُوطِئَنَّ فَرْشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلَا يَأْذَنَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ: أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ» رواه الترمذي (١١٦٣)، وابن ماجه (١٨٥١)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩١٢٤).

والحديث في سنده سليمان بن عمرو: مجهول حال، لكن هناك ما يقويه.

أي: أسيرات.

فهنا أم الدرداء - رَحِمَهَا اللهُ تَعَالَى - تقول: حدثني سيدي أبو الدرداء.

فيستفاد منه: احترام المرأة للزوج وتوقيره بمثل هذه الألفاظ، أو بالكنية، أو باسمه لا مانع أيضًا من ذلك.

فالاحترام بين الزوجين أساس في جلب المودة والتحابب والتفاهم.

والاحترام داخل في الرفق، بل من أجل أنواع الرفق الاحترام، وقد

روى الإمام أحمد في «مسنده» (٤١ / ٢٥٥) عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت قال

النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَائِشَةُ، ارْزُقِي، فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِأَهْلٍ بَيْتٍ خَيْرًا،

دَهَّمَهُ عَلَى بَابِ الرَّفْقِ».

هذه هي البيوت السعيدة، البيوت السعيدة أن تكون لينة، متفاهمة،

حريصة على التفاهم لا المعاندة والاختلاف والمشاقة.

ألفة واحترام، يا من تطلبون السعادة الزوجية والحياة الطيبة!

الألفة حتى بين الأسر، وبين الأم وأولادها، فكما هي مطلوبة من

الزوجين، فكذلك مطلوبة من الأسر، وهذا من فقه الأسر.

وقد قال أبو بكر المروزي أحمد بن محمد بن الحجاج: سمعتُ أبا عبد الله-يعني: الإمام أحمد- وذكر أهله فترحم عليها، وقال: مكثنا عشرين سنة ما اختلفنا في كلمة.

قال الخلال: وهي هذه المرأة. يعني: أم عبد الله^(٩).

سبحان الله! هذا شيء غريب، والبركة من الله، الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى الذي قيل في وصفه: عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه، أته الدنيا فأباها، والشبه فنفاها، لم يختلف مع أهله ولا حتى في كلمة واحدة.

وأيضاً يدل على أن زوجته-رحمها الله- رزينة فاهمة ودودة.

ولا بد أن يحصل بين الزوجين بعض الاختلاف، ولكن يكون علاج هذا بالتفاهم، بالتنازل، الرجل يصبر، يتحمل، وعنده تحمل ما ليس عند المرأة، المرأة ضعيفة، المرأة سريعة التأثر، سريعة التغير، المرأة تمشيها

(٩) أخرجه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (٤٠٤) من طريق الخلال عن المروزي، به.

العاطفية، الله يرحمنا، لكن الرجل أكرمه الله فعنده تحمل ما ليس عند المرأة.

ولا تظني -حفظك الله- أنك إذا تفاهمت، وما شديت أن زوجك سيفتيت عليك، سيتعالى عليك، سيهضم حقوقك، لا تظني هذا، فهذا يجلب مودته بإذن الله، حتى إنه قيل: كوني له أمة يكن لك عبدًا.

فإذا تواضعت لزوجك، وتفاهمت معه واحترمتيه يكون لك كذلك، بل وأفضل مما تقدميه من الحفاوة والحنان والخدمة.

هذا الرجل الأمين -الذي من أوصاف الرجل الخاطب المتقدم للبنت أن يكون أمينًا-، فهذا هو الأمين ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ آسَتْجَرَتْ أَلْقَوْهُ الْأَمِينُ﴾ [القصص].

إذا كان هذا في الإيجار فكيف بالزوج!

يكون أمينًا على البنت إن أحبها أكرمها، وإن أبغضها فمأهانا، هذا صاحب الدين، صاحب الأمانة، لا يهين البنت ويحتقرها.

ولا تسمعي للمغرضات المحرشات أنك لا تتنازلي، بعض النساء طبيعتهن التحريش: لا تتنازلي. حتى إنهم جعلوا نكته في هذا، يقلن للمرأة فيما يخص زوجها: لا تتنازلي، لكن إذا كان عندها عمل ومن حولها من الإدارة وكذا، شديد عنيف عنده قسوة يقلن لها: تنازلي، اصبري، تحملي. لكن زوجها: لا، لا تتحملي، لا تهيني نفسك، أنت من بيت عزيز، لا تذلي نفسك.

هذا الصنف الذي قال عنه النبي ﷺ: «مَنْ خَبَبَ زَوْجَةً امْرِيٍّ أَوْ مَمْلُوكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا» (١٠).

«خَبَبَ» أي: أفسد، ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ جُحُولِهِمْ إِلَّا مَنَ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

ومن أسباب جلب المودة بين الزوجين:

(١٠) رواه أبو داود (٢١٧٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وذكره والذي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الصحيح المسند» (٣٨٠).

القيام بالمسؤولية، الرجل يقوم بمسؤوليته، والمرأة تقوم بمسؤوليتها في بيتها، وتحسن تدبير المنزل، وتقوم بالخدمة، والنظافة، وهكذا بالحفاوة، والأخلاق، والكلام اللين الطيب، فهذا يجلب المودة بين الزوجين، يرجع الزوج وهي مهية له ما يريد من الطعام وما يحتاج إليه، هذا يجذب القلب ويؤثر فيه، ويقوي العلاقة بين الزوجين، بل حتى بين غير الزوجين تقوية العلاقة يكون بالمنافع والتعاون.

وتقوم المرأة برعايتها ومسؤوليتها وتربية أولادها، فالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ، فَاِلِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ» رواه البخاري (٥١٨٨)، ومسلم (١٨٢٩) عن عبد الله بن عمر.

ومن أسباب المودة بين الزوجين: الشكر.

الرجل يشكر زوجته، وهي تشكره، هذا من أسباب جلب المودة،

روى أبو داود رحمه الله (٤٨١١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم

قَالَ: « لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ » وهو في «الصحيح المسند»
(١٣٣٠) لوالدي رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

وإذا كان هذا في عموم الناس فكيف بالزوجين؟!

فالمرأة تشكر زوجها على ما يقوم به من النفقة والإحسان والسكن وحسن
العشرة، والرجل يشكر امرأته على ما تقوم به من الخدمة، والقيام بواجبه
عليها، وحسن رعايتها في بيتها، وتربية أولادها...

ومن أسباب جلب المودة بين الزوجين: حفظ أسرارهما

إذا وجد الرجل زوجته أمينة على أسرارها، وهو كذلك أمين على
أسرارها، جلبَ المودة بينهما، فأسرار الزوجين ما تخرج، النبي
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: الرَّجُلُ
يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا» رواه مسلم (١٤٣٧) عن أبي
سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأسرار الزوجية تكون هنا في القلب مكتومة، لا تخرج حتى للأم.

وينبغي للأمهات أن يريّن البنات على حفظ السرّ، فأسرار الزوجين ما تخرج حتى للأم، ومن باب أولى أنها لا تخرج لمن هو دون الأم.

فهذا من الحقوق الزوجية، ومن أسباب جلب المودة بين الزوجين، إذا وجدها أمينة على أسرارها، سواء فيما يتعلق بالعشرة، أو فيما يتعلق بأشياء تعرف أنه لا يريد أن يخرج هذا الكلام، يا أخواتي القليل من النساء من تصبر على كتم الأسرار، إذا كان في داخلها سر يبقى يطلع وينزل، تبغي تخرجه، تثرثر مع النساء، القليل من تصبر على حفظ السر، ولكن اعلمي:

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ❀ فصدر الذي يستودع السر أضيق

إذا أنت ما تحملت سرّك، فمن أودعتها سرّك من باب أولى أنها ما تتحمل، لا بد أن تخرج هذا السر.

إذا الحياة الزوجية لها أسرار، وكذلك البيوت لها أسرار، فاحفظن أسراركن.

اكتمي ما أنعم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** به عليك، وبعض النساء مجالسهن عن الأزواج: فلان فعل، زوجي خرج، زوجي قال، أيش هذا؟! هذا لا

يصلح، هذا من الخطأ، وربما غيرك ما عندها هذه النعمة، بل بعضهن في جحيم وعناء عند أزواجهن.

وقد تُسلب هذه النعمة عنها، قد يكون زوجها طيباً، متفاهماً، كريماً، زوجها صاحب دين وأخلاق، ووفاء، وتذهب بين النساء تتكلم، وبعدين تُسلب عنها النعمة؛ يحسدها، ونبي الله يعقوب يقول لابنه يوسف عليها الصلاة والسلام: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥].

فعودي نفسك يا أختي على حفظ الأسرار، على حفظ الأسرار الزوجية، على حفظ أسرار البيوت، على كتم النعم، فحتى النعم اكنمها في مجالس النساء، ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق].

وهناك حديث: «اسْتَعِينُوا عَلَىٰ إِنْجَاحِ الْحَوَائِجِ بِالْكِتْمَانِ، فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مُحْسُودٌ» (١١).

(١١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢١٥ / ٥) عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ.

والحديث في «الصحيحة» (١٤٥٣) للشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

وخاصة كتمان النعم قبل ظهورها، وقد استنبط الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٤ / ٣٧١) من قوله **عَزَّوَجَلَّ** عن نبي الله يعقوب: ﴿قَالَ يَبْنَىٰ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥]: وَمِنْ هَذَا يُؤْخَذُ الْأَمْرُ بِكِتْمَانِ النِّعْمَةِ حَتَّىٰ تُوجَدَ وَتَظْهَرَ.

ومن الأسباب: العلم النافع.

قد يُستغرب من ذكر العلم النافع في أسباب المودة بين الزوجين، ولكن إذا عُرِفَ السبب بطل العجب، وبيان ذلك:

أن العلم يهذب، العلم يزيد في العقل، ويأتي بالرزانة، ويجر إلى كل خير، ويرزق البصيرة، وما يأتي كل شر وخلاف إلا بسبب الجهل.

ومن الأسباب: الدعاء

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وما أحسن قول الشاعر:

إن الكريم إذا ناديت قال: نعم * فكيف بالله ذي الإنعام والكرم
فابسط له الكف لن تأتيك فارغة * فقد سألت الذي سؤاك من عدم
وقال آخر:

لا شيء يُدني الأمانى حين تُعجزنا * إلا ارتفاع الأيادي نحو مولاها

إنه ينبغي إلحاح الزوجين في الدعاء أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يرزقهما تبادل
المحبة فيما بينهما، **﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ
أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤)﴾** [الفرقان: ٧٤].

يسر قلب المرأة إذا رأت زوجها؛ لأنه صاحب دين يخاف من الله،
يحافظ على صلاته، صاحب أخلاق طيبة، صاحب وفاء وزكاء، يجب
الدين، يحب الخير، يحب الصلاح فتقر عينها به، إي والله، هذا هو الذي
قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في وصفه ووصفها: **«تُنْكِحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا
وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرِ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبْتُ يَدَاكَ»** رواه البخاري
(٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

فهو يختار صاحبة الدين، وهي أيضًا تختار صاحب الدين.

ومن الأسباب: ما تيسر من الهدايا

حتى المرأة تهدي لزوجها، فهذا من أسباب المودة.

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَلَى الْبَابِ، فَلَمْ يَدْخُلْهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَّةَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاذَا أَذْنَبْتُ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟».

قُلْتُ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدهَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ، فَيَقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ».

وَقَالَ: «إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّورُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ» رواه البخاري

(٢١٠٥)، ومسلم (٢١٠٧).

وفي رواية لمسلم: فَأَخَذَتْهُ فَجَعَلَتْهُ مِرْفَقَتَيْنِ فَكَانَ يَرْتَفِقُ بِهِمَا فِي الْبَيْتِ.

والأصل أن الرجل هو الذي يهدي للزوجة، ويكرمها بالعطايا، لكن لا مانع أن المرأة تفعل، حتى ولو شيئاً يسيراً، كالعطر أو الجورب..

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ في «شرح العقيدة الواسطية» (٢٤٢/١) في سياق أسباب محبة العبد ربه: وأعتقد لو أن أحداً أهدى إليك قلماً لأحبيته، فإذا كان كذلك فأنت انظر نعمة الله عليك، النعم العظيمة الكثيرة التي لا تحصىها، تحب الله.

ومن الأسباب: النظر إلى المحاسن والتغاضي عن المساوئ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ» رواه مسلم (١٤٦٩).

فَإِنْ وَجَدَ فِيهَا خُلُقًا يُكْرَهُ وَجَدَ فِيهَا خُلُقًا مَرْضِيًّا بِأَنْ تَكُونَ شَرِّسَةً الْخُلُقِ، لَكِنَّهَا دَيِّنَةٌ أَوْ جَمِيلَةٌ أَوْ عَفِيفَةٌ أَوْ رَفِيقَةٌ بِهِ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ (١٢).

وهكذا المرأة تنظر إلى محاسنه؛ فهو أخرى لجلب المودة، والراحة النفسية.

(١٢) ذكره النووي رَحِمَهُ اللهُ في شرح هذا الحديث.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ في «الوسائل المفيدة للحياة السعيدة» (٢٨) عن الحديث المذكور: ومن لم يسترشد بهذا الذي ذكره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل عكس القضية فلحظ المساوي، وعمي عن المحاسن، فلا بد أن يقلق، ولا بد أن يتكدر ما بينه وبين من يتصل به من المحبة، ويتقطع كثير من الحقوق التي على كل منهما المحافظة عليها.

وقد قدّم والدي الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللهُ سؤالاً لنا في قسم النساء: اذكر صفات المرأة الصالحة.

فكان فيما ذكرته إحدانا:

تغاضي المرأة عن هفوات زوجها وزلاته.

التسامح في الحياة المعيشية إذا كان ضيق اليد، وأن تصبر عليه.

فأعجب والدي رَحِمَهُ اللهُ بذلك، وقال: هذا أقوى الأجوبة!

ومن الأسباب: التزين في حدود الشرع

ولم يُشرع تزين المرأة واهتمامها بنظافتها إلا من أجل الزوج.

قال الحافظ ابن كثير في تفسير سورة النور: فَأَمَّا الزَّوْجُ فَإِنَّمَا ذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ أَجْلِهِ، فَتَصْنَعُ لَهُ بِهَا لَا يَكُونُ بِحَضْرَةِ غَيْرِهِ.

هذه بعض الأسباب في جلب المودة بين الزوجين، والقيام بذلك عبادة، بل من أكد العبادات وأجلّها.

وعلمنا أن الحياة الزوجية ليست عبارة عن خدمة وطاعة تقوم بها المرأة، ونفقة وسكن يقوم به الرجل، لا بد أن يكون هناك حنان ومودة، واحترام ومراعاة المشاعر.

وإذا وُجِدَت المودة حلّت -إن شاء الله- السعادة الزوجية، واستقرت ونجحت الحياة الزوجية.

حتى إن المرأة تُؤثّر زوجها في أشياء على نفسها، وتُعينه، وتحرص على أن يكون قرير العين، وهو كذلك يؤثرها على نفسه، ويتعب ويكدح؛ لسعادتها، وإدخال السرور عليها.

فينبغي الحرص على ذلك، والحذر من نزغات الشيطان وشركه.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لكل خير، ربنا آتينا من لدنك رحمة وهيبى لنا من أمرنا
رشدًا، والحمد لله رب العالمين.



تم نشر هذه المحاضرة ولله الحمد والمنة.
يوم الاثنين الموافق ١٢ / من شهر ذي القعدة / عام ١٤٤٥ للهجرة النبوية
على صاحبها الصلاة والسلام.